هوامش

تم إجراء مجموعة من التحليلات الجينوميّة لأقدم بقايا بشريّة حديثة معروفة في أوروبا يعود تاريخها إلى حوالي 45 ألف عام، وذلك لمعرفة تفاصيل الهجرات البشريّة المبكرة

البشر المعاصرون الأوائل الذين وصلوا إلى أوراسيا اختلطوا بشكل متكرر مع إنسان نياندرتال (Getty)

الإنسان الأوروبي القديم

تتبع للتاريخ السكاني المعقّد في أوراسيا

محمد الحداد

توفر التحليلات الجينومية لأقدم بقايا بشرية حديثة معروفة في أوروبا، والتي يعود تاريخها إلى حوالي 45000 عام، نظرة ثاقبة على الهجرات البشرية المبكرة في أوروبا. ترسم الدراسة التي نشرت في مجلة «نيتشر - إيكولوجي أند إيفولوشن» يوم 7 إبريل/ نيسان، صورة للتواريخ السكانية المعقدة والمتنوعة لأسلاف الإنسان الحديث في أوروبا.

تم العثور على أقدم بقايا الإنسان الحديث في أوروبا في كهف «باتشو كيرو» في بلغاريا، وقد تم تأريخها بالكربون المشع الذي أرجعها إلى ما بين 45930 و42580 سنة مضت.

يسلط تحليل تسلسل الجينوم النووي من العينات البشرية التي عثر عليها في كهف باتشو كيرو الضوء على أسلاف هؤلاء الأفراد وعلاقاتهم مع البشر في الوقت الحاضر. تعقب الباحثون تسلسل جينومات خمسة أفراد تم العثور عليهم في الكهف، تصل أعمار أربعة أفراد منهم إلى حوالي 46000 عام، وتم العثور عليهم مع أدوات حجرية تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى، وتمثل أقدم ثقافة مرتبطة بالإنسان الحديث في أوراسيا.

الجينوم البشري الحديث

أظهر الحمض النووي القديم من إنسان نياندرتال وبدايات البشر المعاصرين أن المجموعتين تزاوجتا على الأرجح في مكان ما في الشرق الأدنى بعدما غادر الإنسان الحديث أفريقيا منذ حوالي 50000 عام.

نتيجة لذلك، يحمل جميع الأشخاص خارج أفريقيا حوالي 2% إلى 3% من الحمض النووي للإنسان البدائي.

في الجينوم البشري الحديث، أصبحت شرائح الحمض النووي لإنسان نياندرتال أقصر بمرور الوقت، ويمكن استخدام طولها لتقدير متى عاش الفرد.

علاوة على ذلك، تشير البيانات الأثرية إلى أن البشر المعاصرين كانوا موجودين بالفعل في جنوب شرق أوروبا منذ 47-43 ألف عام، ولكن نظراً لندرة الحفريات البشرية الكاملة إلى حد ما ونقص الحمض النووي، لم تكن لدينا فكرة كاملة بشأن من كان هؤلاء المستعمرون البشريون الأوائل، أو علاقاتهم بالمجموعات البشرية القديمة والحديثة.

معهد «ماكس بلانك»

في الدراسة الجديدة أبلغ فريق دولي من الباحثين من معهد «ماكس بلانك» لعلوم التاريخ البشري في ألمانيا، وباحثون في جامعات تشيكية، عن أقدم جينوم بشري حديث أعيد بناؤه حتى الآن، والذي يرجع إلى المرأة المعروفة للباحثين باسم «Zlatý k»، أو الحصان الذهبي، والتي اكتشفت رفاتها في التشيك.

أظهر الحمض النووي للمرأة امتدادات أطول من الحمض النووي لإنسان نياندرتال مقارنة بفرد «أوست إيشيم» البالغ من العمر 45000 عام، والذي عثر عليه في سيبيريا، وهو أقدم جينوم بشري حديث حتى الآن.

تشير التحليلات إلى أنها كانت جزءا من مجموعة سكانية تشكلت قبل أن ينقسم السكان الحاليون إلى الأوروبيين والآسيويين.

اختلاط مبكّر

يقول المؤلف المشارك في الدراسة ماتيجا هاجدينجاك، الباحث في معهد ماكس بلانك لعلم الإنسان التطوري في ألمانيا، في تصريح لـ«العربي الجديد»، إن ما يجعل هذه الدراسة مهمة هو أنها تغير فهمنا للهجرة البشرية المبكرة، التي حدثت بعد فترة وجيزة من الهجرة البشرية خارج أفريقيا. علاوة على ذلك، تؤكد أن الاختلاط بين المجموعات المستقرة القديمة كان أكثر شيوعاً مما كنا نظن سابقاً.

ويضيف هاجدينجاك أن أفراد كهف باتشو كيرو كانت لديهم مستويات من الجينات التي تعود لإنسان نياندرتال أعلى من جميع البشر الأوائل الآخرين تقريباً، باستثناء فرد يبلغ من العمر 40 ألف عام عثر عليه في رومانيا. والأهم من ذلك، أن معظم هذا الحمض النووي لإنسان نياندرتال يأتي في فترات طويلة للغاية، وهو ما يوضح أن هؤلاء الأفراد كان لديهم أسلاف إنسان نياندرتال حوالي خمسة إلى سبعة أجيال في أشجار عائلاتهم.

تشير النتائج إلى أن البشر المعاصرين الأوائل الذين وصلوا إلى أوراسيا اختلطوا بشكل متكرر مع إنسان نياندرتال، وربما تم استيعابهم في مجتمعات إنسان نياندرتال المستقرة في المنطقة. في وقت لاحق فقط وصلت مجموعات بشرية حديثة أكبر وحلت محل تجمعات إنسان نياندرتال.

باختصار

تم العثور على أقدم بقايا الإنسان الحديث في أوروبا في كهف «باتشو كيرو» في بلغاريا، وقد تم تأريخها بالكربون المشع

■■■

أظهر الحمض النووي القديم من إنسان نياندرتال وبدايات البشر المعاصرين أن المجموعتين تزاوجتا على الأرجح في مكان ما في الشرق الأدنى

■■■

أصبحت شرائح الحمض النووي لإنسان نياندرتال أقصر بمرور الوقت ويمكن استخدام طولها لتقدير متى عاش الفرد

وأخيراً

ذكريات السوريين وألقابهم

خطيب بدلة

تغير نوع الذكريات عند الشعب السوري. بالأمس القريب، السابع من إبريل/ نيسان 2021، مرّت الذكرى التاسعة لمجزرة اللطامنة. وقبلها بأيام الذكرى الرابعة لضرب مدينة خان شيخون بالكيماوي، ومجزرة الساعة في حمص، ومذبحة البيضا، وكيماوي الغوطة.. كانت لدينا، في السابق، ذكرياتٌ مؤلمة، ولكنها كانت تتكرر من دون تحديث: وعد بلفور، تقسيم فلسطين، هزيمة حزيران، وذكرى الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا في السادس من مايو/ أيار 1916. وهو واحد من الباشوات الثلاثة، مع أنور وطلعت، أركان جمعية الاتحاد والترقي الذين انقلبوا على السلطان عبد الحميد الثاني، وحكموا الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى 1918. جاء إلى دمشق على رأس الجيش الرابع في سنة 1915، وذهب ليحارب الإنكليز في قناة السويس، وهُزم، وعاد إلى دمشق، ونفذ في بيروت ودمشق إعداماتٍ بحق الرجال الوطنيين، بعدما لفق لهم تهمة التخابر مع الفرنسيين والإنكليز.

كان السوريون، قبل هذا التاريخ، معتادين على أخبار القتل ومناظر الدماء من خلال صراعات الينيشارية، والكابيكول، واليارلية التي صورها الكاتب فؤاد حميرة ببراعة في مسلسله «حصرم شامي»، المأخوذة فكرتُه عن كتاب البديري الحلاق «أحداث دمشق اليومية».. ومع ذلك، استفظعوا فعلة جمال باشا، وأطلقوا عليه لقب «السفاح»، وسمّوا الساحة البيروتية التي شهدت الإعدام «ساحة الشهداء».. في أيام حكم حزب البعث الممتدة منذ سنة 1963، ألصقت المناهج المدرسية لقب «السفاح» بجمال باشا، واستفاضت في الكلام عن إعداماته، وأشادت بالرجال الوطنيين الذين رحبوا بالمشنقة، ولقبوها «أرجوحة الأبطال».. وفيما بعد، أطلقوا لقب «السفاح» نفسه على محمد أمين الحافظ الذي تسلم رئاسة سورية بين يوليو/ تموز 1963 وفبراير/ شباط 1966، وألصقوا به لقباً آخر يدل على شدة الغباء، هو أبو عبدو الجحش، ووصفوه بجملة مسجوعة هي: مع أبو عبدو السفاح، نصف الشعب في سجن المرّة، ونصفهم الثاني في مقبرة الدحداح. فأما عن كونه سفاحاً فمصدرها أنه، خلال اضطرابات سنتي 1964 و1965، قصف جامع السلطان في حماه، واقتحم الجامع الأموي في دمشق، وقتل مواطنين كثيرين. وأما اللقب الآخر فتروى عنه حكايات كثيرة، جسّد إحداها ياسر العظمة في تمثيلية كوميدية، ترينا أنه كان يتلقى أخبار مديري المؤسسات الحكومية الفاسدين، فيقول: إش عليه؟ هدول رفاقنا. ما منسى أنهم مناضلون، كانوا يطلعوا مظاهرات ضد المستعمر، وينفّسوا دواليب (عجلات) سيارات المعارضة. وثمّة طرفة معبّرة رواها محمد أمير ناشر، تقول إن وفداً من علماء حلب ووجهائها التقوا، سنة 1963، رئيس الدولة البعثية الجديد، أمين الحافظ، وقام فيهم مفتي حلب المرحوم الشيخ محمد الحكيم خطيباً، وكان من جملة ما قاله للرئيس، بلهجته الخطابية الرصينة: لقد سَرَّنا، يا سيادة الرئيس، أنكم ستنتهجون النهج الاشتراكي في إدارة البلاد، فهلا حدّثتمونا عن رؤيتكم حول تطبيق الاشتراكية؟ هل أنتم مع الاشتراكية العلمية، أم الطوباوية، أم أنكم من أنصار اشتراكية سان سيمون؟ فالتفت إليه الرئيس أبو عبدو قائلاً: أنا ما بفهم بكل هـ «الأكل الهوا».. اللي بعرفه إني بدي أطَبِّقْ الاشتراكية وبس.

أخيراً، ثمّة طرفة تروى عن حافظ الأسد، ولكنها تنطبق على كل الديكتاتوريين المتخلفين الذين يتوالون على حكم هذه البلاد المنكوبة، ملخصها أن رجلاً سبّ حافظ الأسد علناً في مقهى بلدته. وفي اليوم التالي، جاءه خبر أن أحد المخبرين «الشرفاء» كتب بحقه تقريراً، فخاف، وتنكّر بزي درويش، وهرب. هام على وجهه في البراري والقفار، حتى وصل إلى قرية، كان لدى أهلها ميتٌ يبحثون له عن شيخ يلقنه الشهادتين، فقال لهم: أنا شيخ ابن شيخ، دعوني ألقنه.. فأجلسوه إلى حافة القبر، وصار يبربر بكلام غير مفهوم يوحي بأنه تلقين، والحقيقة أنه كان يقول للميت: لَقَّنْتَكْ تلقينَكْ، وأنت متّ على دينك، وإذا طال حكم حافظ الأسد، كلنا لاحقينَك.

> كانت لدى السوريين، ذكرياتٌ مؤلمة، تتكرر من دون تحديث: وعد بلفور، تقسيم فلسطين، هزيمة حزيران...

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**